القضاء والقدر

ودفع اليأس، ورفع الشك

نعمان زكي الأحمدي

مكة المكرمة : باب الزيادة

الطبعة الاولى – فى ١٣٨١ هـ

رجب باهوا افندی سادد باهوا اوغلو

المطبعة السلفية

إن حق الطبع محفوظ

فعليه لا يسوغ لأى أحد كائناً من كان بالمملكة السعودية أو غيرها ، أن يقوم بطبع هذا الكتاب للبيع ، أو للتوزيع مجاناً ، إلا بإذنى ما دمت حياً ، وبعد وفاتى بإذن (المفتى الأكبر) للحرمين الشريفين وما حولهما من المملكة المحروسة التى يضرب بها المثل الأعلى فى الأمن والأمان لدى جميع من بالمعمورة كلها حيث أنهم يعلمون علماً يقيناً بأن الحكومة السعودية قد أدّبت المسيئين وجعلت كلاب مملكتها فى سلاسل وأغلال ، وأمّنت دماء العالم الاسلامى وحصّنت أموالهم بعد ما كان قبل الحكومة السعودية لا يعلم عدد المقتولين ، والمنهوبين ، بين الحرمين إلاّ الله وحده ، وبثّت العلوم وحررت العقول بنشر الدعوة الحقة ، وسقت البلاد ، وأروت العباد بإجراء المياه العذبة ، وقامت نحو الحرمين الشريفين بعزم صادق لم يسبق إليه أحد ، وفازت فى التاريخ مكاناً علياً ؛ (وان القصد) من حفظ حق الطبع هو الحرص الشديد على حماية هذا الكتاب من دخول يد آثمة فيه بالتحريف والفساد ، لأنه قد هدم على الملحدين شبكاتهم الباطلة بمعاول الحق وألجمهم وكسحهم ، وثلّج قلوب المؤمنين وسلّحهم . (وان سبب) قيد الإذن ، وتخصيصه

(بمفتى الحرمين الشريفين إلى الأبد) هو الحديث الشريف الوارد فى صحيح مسلم وذلك قول النبى ﷺ « ان الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرِزُ بين المسجدين كما تأرِزُ الحيةُ فى جحرها » وقال فى سنن الترمذى « ان الدين ليأرز إلى الحجازِ ، كما تأرز الحيةُ إلى جحرها ، و لَيَعْقِلَنَّ الدينُ فى الحجازِ مَعْقِلَ الأَرْوِيَّة من رأس الجبل ، ان الدين بَدَأَ غريباً ويرجعُ غريباً ، فطوبى للغرباء ، الذين يصلحونَ ما أفسد الناس من بعدى من سنتى »

وأرجو الى سماحة المفتى الأكبر المذكور ، أن لا يتفضل بالإذن إلاّ على شرط أن يكون طبق الأصل بلا زيادة ، وبلا نقصان ، وأن تكون حروف الطبع على حجمين (أكبر وأصغر) وذلك لتمييز المختصر من المبسوط حتى يحصل الوصول إلى فهم المعانى بسهولة ، مع عدم وقوع أى إشكال والحمد لله رب العالمين م؟

نعمان زكى الأحمدى

السبب للتفسير هذا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . . .

أما بعد ان سبب تشرفي بتفسير الآيات والأحاديث الآتية هو هجوم الملحدين على الاسلام كما قال تعالى ﴿يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ ، وسؤال كثير إلىّ من المؤمنين المخلصين[1] عن ذلك الهجوم وتلك الآيات والأحاديث التى يستعملها الحاسدون[2] المضلون الجاحدون ، ضدّ الاسلام ، وانى بناء على ما تفضّل علىّ سماحة مولانا الشيخ الأعظم والمفتى الأكبر ، ورئيس القضاة ، والجامعة الاسلامية ، والكليات ، والمعاهد العلمية بالمملكة السّعودية (الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ الأمجد) وتوّجنى بالإجازة الكبرى والشهادة العليا التى لم يتشرّف بالفوز لمثلها سواى قمت بعون الله تعالى مفسّراً ومجيباً لما ؟

نعمان زكى

---

(١) وان من هؤلاء الكرام هو المكرم أبو فيصل مصطفى رشيد بالجيش السعودى

(٢) لأنه جاء من بعدهم وظهر عليهم جميعاً كما قال تعالى ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ سورة التوبة

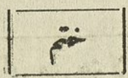
هذا نص الإجازة الكبرى
والشهادة العليا السالفة الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى وأصلي وأسلم على خيرته من بريته نبينا محمد وآله وصحبه . وبعد فقد اطلعت على ما أجاب به فضيلة الأستاذ الموفق نعمان زكي على خمسة أسئلة عن الطرق الصوفية ، وعن المولد ، وعن الدلائل ، وعن إسقاط الصلاة بالدراهم بعد الموت ، وعن تلقين الميت بعد الدفن في القبر فوجدت ما أجاب به هو عين الصواب ، فجزاه الله خيراً وأجزل مثوبته (ولا زال هكذا يجيب عن الأسئلة ولا سيما الهامة جداً) بالحق ويوضح ما يجب على أهل العلم إيضاحه

أملاه الفقير الى مولاه : محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ

حرر في ٥ شعبان سنة ١٣٧١



بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً[1] اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ[2] .

أمّا بعد ، رأيت الناس قرنا بعد قرن فى حيرة أو شكّ أو يأس[3] أمام أخبار بعض أحاديث شريفة وآيات كريمة وعليه راجعت فيهما كتباً

---

(١) سورة الكهف

(٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) سبق أن بوحث فى القضاء والقدر بمجلس يحضره الشيخ اسماعيل الغزنوى رحمه الله ، فقال الشيخ محمد عبد الله أحد علماء السند بإعجاب وتقدير (ان فى القرن السابع قال العالم الجليل ، الفيلسوف الكبير ، الشاعر الشهير ، الشيخ سعدى الشيرازى ، بيت شعر فارسى معناه) :

لقد غرقت فى هذا البحر ألوف من السفن

وما خرجت منهـا الى الساحل خشبة

للمتقدمين والمتأخرين فما وجدت إلاّ مالا يسمن ولايغنى من جوع[١] ،
وخير ما قالوه هو النصح بالسكوت والاستسلام لما وقالوا : التعمق
والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان ، فالحذر
كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة فإن الله تعالى طوى علم القدر
عن أنامه ونهاهم عن مرامه كما قال تعالى ﴿ لا يُسْأَل عمّا يفعل وهم
يسألون[٢] ﴾ ولكن قولهم هذا مع عظيم حسنه يقوّى أعداء الاسلام
حيث انهم يقولون إن دين الاسلام لا يخلّص منتسبيه من الشك
ولا ينجى معتنقيه من الشبهة وعليه قطعت رجائى مما سوى الله تعالى وقلت
﴿ اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم
الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدنى لما

---

(١) وراجعت أيضاً مراجع شهيرة فمنها من هرب واختفى ، ومنها
من كتب إلىّ بعد سنة بكذب صريح وعذر سخيف ، وان ذلك دليل
واضح على عجزه البائن ، وان كتابه المحتوى على ذلك محفوظ لدى
بتوقيعه الذاتى ، وإنى لم أكن أذكر المراجع ، ولم أكن أذكر صاحب
التوقيع إلا لحمايتهم من الخجل أمام العالم ، وان تكابروا ، سوف أذكر
أسماءهم فى الطبعة الآتية ، وأضع نفس الكتاب الرسمى بعد نقله
بالفتوغراف كما هو بلا زيادة وبلا نقصان

(٢) شرح الطحاوية

اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم [١] ﴾ والتجأت إلى رب السلف والخلف وثلّجت قلبى بقوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ [٢] ﴾ وتوكلت على الحى الذى لا يموت وجعلت بصرى وبصيرتى فى انتظار فضل الله تعالى ورحمته ، ومستعينا بالله تعالى كتبت ما يأتى بإيمانى الفطرى وبعلمى الوهبى منه سبحانه وتعالى وذلك فيما يتعلق بالقضاء والقدر

---

(١) أخرجه مسلم والترمذى وابن ماجة

(٢) سورة البقرة

١

﴿ روى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال : جاء سراقة بن مالك بن جُعشُم فقال : يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنّا خُلِقنا الآن فيم العملُ اليوم أفيما جفّت به الأقلامُ وجرت به المقاديرُ أم فيما نستقبل . قال « لا بل فيما جفت به الأقلامُ وجرت به المقـاديرُ » قال زهير أحـد رجال السند تـكلّم أبو الزبير بشىءٍ لم أفهمه فسألت ما قال فقال « اعمـلوا فـكل ميسر ﴾

يعنى لا إجبار ولا مانع ، أى الله تعالى خلق النار بحكمته وعدله وخلق الجنـة بفضله ورحمته وجعل للعباد مشيئةً واختياراً فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ، وقدّر الشر والخير وقضى بالامتحان والجزاء كما قال تعـالى ﴿ ونبلُوكم بالشر والخير فتنةً وإلينا ترجعون[١] ﴾ أى للمجازاة وأنه تعالى كما قضى وقدّر وقوع الجرح وحدوث المرض ، قضى وقدّر أيضاً وجود الدواء وحصول الشفاء كما قال النبي صلى الله تعـالى

---

(١) سورة الانبياء

عليه وآله وسلم « ما أنزل الله داء ألاّ أنزل له شفاء[1] » وتفضل على عباده بالاستعداد والقابلية على حصول الأدوية اللازمة النافعة لأنواع الأجراح وألوان الأمراض ، وإن الأمر معلوم بالبداهة ان كلّ من راجع الأطباء وسعى فى طلب الدواء ووصل إليه ثم استعمله حسب أمر الطبيب الحاذق شفى المريض بقضاء الله وحصل المراد بقدر الله ، وخلقه حيث ﴿ والله خلقكم وما تعملون[2] ﴾ وان الذى لا يصرف سعيه فيما ذكر يزيد مرضه ويكبر جرحه أو يموت لعدم مدافعته الجرح أو المرض بالادوية والتداوى الممكن بسعى العبد واختياره ، وان كل ذلك فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير ، وكذا السعادة والشقاوة ، ولا شك أن شفاءها وطريق النجاة منها مبيّن فى الكتاب الذى قال منزله سبحانه وتعالى ﴿ وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شيء وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ[3] ﴾ وعليه نلتجىء الى رب الأطبّاء الحكيم الأعظم سبحانه وتعالى ليُعَلّمنا ما فيه الشفاء ويرشدنا إلى ما يدافع به الشقاء ولا نبقى حائرين فى شك وريب ، وقد قال سبحانه وتعالى فى كتابه الذى أنزله

---

(١) رواه البخارى

(٢) سورة الصافات

(٣) سورة النحل

تبياناً لكل شيء ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً [١] ﴾ أى حداً يوقف الشيء عنده كما ان حدّ الجرح والمرض هو الدواء والتداوى الممكن بسعى العبد واختياره وبذلك يقف الجرح أو المرض بل ويأخذ فى الرجوع ويَنْعدم كما هو المشاهد فى كل مكان وزمان . وقال تعالى فى سورة المؤمن ﴿ ادعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وقال تعالى فى الحديث القدسى ﴿ أنا عند ظن عبدى بى [٢] ﴾ فظهر أن شفاء الشقاء والحد الذى يوقفه بسعى العبد واختياره وينجيه الله تعالى بسبب ذلك من الشقاء ومن كل ضيق وبلاء ومن عذاب دار البقاء هو التقوى والتوكل والدعاء بحسن الظن ، فحاشا أن يكون جفاف الأقلام وجريان الأقدار مخالفاً لما جاء به الكتاب والسنة ، وأيضاً لنا العبرة الكبرى والحجة العظمى فى الحديث المدهش الذى رواه مسلم حيث قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيه « أَلْعَيْنُ حَقٌّ ولو كانَ شىءٌ سابِقَ القدَرِ ، سَبَقَتْهُ العَيْنُ [٣] » ، وإنه لو كان كل

---

(١) سورة الطلاق

(٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) أى ولو كان سبق القدر لوقوع شىء بأن يكون كذا . . فى ==

ما كتب ماض وواقع بدون سعى العبد واختياره لما كان بقى محل لأمر الله وقوله تعالى ﴿ فالآنَ باشِرُوهنَّ وَابتَغُوا ما كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾ (١)



قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار »

أى لأنه لم يقصد وجه الله تعالى بعمله كما جاء فى صحيح مسلم « عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول : إن أوّل الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعرَفَها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدتُ قال كذبتَ ولكنك قاتلتَ لأن يقال جرىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأتى به فعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلّمت العلم

= كذا ، لسبقته العين . ومثال ذلك هو أنه لو سبق القدر بأن فلاناً فى كذا من العمر يتزوج بفلانة ، لحالت العين بين ذلك بإصابتها ، وإماتة أحدهما أو كلاهما وسبقت القدر

(١) سورة البقرة

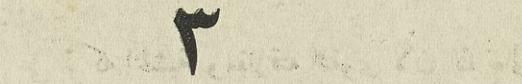
وعَلَّمْتُهُ وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تُحِبُّ أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار »

« وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة[1] »

أى ان الله تعالى كما يدخل الرجل الأوّل فى النار بعدله ، ولحيث انه حكيم وفعّال لما يريد يخرج مَن يشاء مِن ظلمات المعاصى الى نور هدايته ويدخله الجنة برحمته وفضله « انما الأعمال بالخواتيم[2] » أى لا تيئسوا من رَوْح الله تعالى فتشغلوا أنفسكم بما لا يعنيكم وتقطعون لأناس بالشقاوة ولِأناس بالنار ، ولا تأمنوا مكر الله تعالى فتشغلوا أنفسكم بالعجب والغرور ، بل ادعوا الله تعالى لهم ولكم بالهداية واطلبوه تعالى الثبات على التقوى لأنكم إذا لم تبنوا أعمالكم على التقوى إلى

(١) خرجاه فى الصحيحين وزاد البخارى « انما الأعمال بالخواتيم »
(٢) رواه البخارى كما ذكر بعاليه

خواتيم أعماركم فلا خير لكم فيها لأن الأساس هو التقوى ، وان الله تعالى قد بشر المطيعين المتقين بالسعادة الأبدية قائلاً ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ ويَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فأولَئِكَ هُمُ الفائِزُونَ(١) ﴾ وفى بيان علو شأن المتقين قال تعالى ﴿ إنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُون(٢) ﴾



قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« إنّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فى بَطْنِ أمِّهِ أربعين يوماً نطفةً ثم يكونُ علقةً مثل ذلك ثم يكون مضغةً مثلَ ذلك ثم يُرسل إليه الملك فينفخُ فيه الروح ويؤمر بأربعِ كلماتٍ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقياً أم سعيداً . فوالذى لا إله غيرُهُ إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلاّ ذراعٌ فيسبق عليه الكتابُ فيعملُ بعمل أهل النار فيدخلها »

ولا شك أنه ينشأ من التقرب إلى هاوية العجب والغرور بالاعتماد

---

(١) سورة النور (٢) سورة النحل

على أعماله الحسنة فيغفل عن خشية الله تعالى ويفارق التقوى فينتقل من رضاء الله تعالى إلى سخطه فيجازيه الله تعالى عليه بجعل[1] صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد فى السماء فيضله كما قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُرِدْ أنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فى السَّمَاءِ[2] ﴾

وذلك بناء على تركه الخشية ومفارقته التقوى لأن الله تعالى قد حكم بفوز المتقين كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ[3] ﴾ ولذا يستولى عليه الشيطان فيسبق عليه الكتاب ويتبع الشيطان فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها كما قال تعالى ﴿ إنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ ، وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أجْمَعِينَ ، لَها سَبْعَةُ أبْوَابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ، إنَّ الْمُتَّقِينَ فى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوها بِسَلاَمٍ آمِنِينَ[4] ﴾ وان الأصل هو فطرة الإسلام كما قال تعالى

---

(١) بجعل بنقطة واحدة ليست بنقطتين

(٢) سورة الأنعام

(٣) سورة النور

(٤) سورة الحجر

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ[1] ﴾ وكما قال النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « كل مولود يولد على فطرة الإسلام ثم أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه[2] » وعليه قلت فى أول هذا الشرح (لا شك أنه ينشأ من التقرب إلى هاوية العجب والغرور . . .) حيث قد ظهر من هذه الآيات الخمس من سورة الحجر ومن آية الفطرة من سورة الروم ومن حديث فطرة الاسلام أن العباد مخيّرون لامجبورون ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[3] ﴾ ، ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ[4] ﴾ وقد نفى الله الإجبار وأثبت الاختيار بقوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا[5] ﴾ وان النجاة من الشقاء هى بالتقوى والتوكل

---

(١) سورة الروم

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة

(٣) سورة آل عمران (٤) سورة يونس

(٥) سورة الأنعام

والدعاء بحسن الظن كما ذكر بعالميه وإن لم يُفسَّر هذا الحديث بمثل هذا التفسير لا يبقى حينئذ محل لقوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١) ﴾ ولا يبقى محلٌ لتعليم الله تعالى إيانا وقولنا إياه في كل يوم وليلة عدة مرات ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ حيث يكون ذلك أمراً بطلب المحال الغير الممكن فتعالى الله العدل الحكيم عن ذلك علواً كبيراً .

« وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا (٢) »

أي لأن الله حكيم وفعال لما يريد ، قد سبق في كتابه الكريم بأنه تعالى ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣) ﴾ وذلك فضلاً منه

---

(١) سورة البقرة

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) سورة البقرة وسورة يونس وكذلك في سورة البقرة والنور أيضاً ﴿ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾

سبحانه وتعالى ، ومحال أن لا يقع ما قاله الله ، ولذا فيسبق الكتاب على من يشاء الله بالهداية والإنابة الى الله ، كما قد سبق الكتاب أيضاً بقبول التوبة عن العباد والعفو عن السيئات كما قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ[1] ﴾

٤

روى البخارى ومسلم عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس رأسه ينكت بمخصرته ثم قال :

« ما من نفس منفوسة إلاّ قد كتب الله مكانها من الجنة »

أى ان اتقت وثبتت على ﴿ فِطْرَتَ اللهِ التى فطرَ النَّاسَ عَلَيْها[2] ﴾ وامتثلت بأوامر الله

« والنارِ »

أى ان لم تتق ولم تثبت على الفطرة ولم تمتثل بأوامر الله

---

(١) سورة الشورى

(٢) سورة الروم

« وإلاّ قد كتبت شقية »

أي عقوبة لها إن زاغت عن الفطرة وفسقت ، حيث قد حقت كلمة الله على الفاسقين أن لا يهديهم كما قال تعالى فى الآية الخامسة من سورة الصف[١] وان قوله « والاّ قد كتبت شقية » كقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ[٢] ﴾ أى ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ[٣] ﴾ وذلك بخروجهم وبترك استعمال اختيارهم الذاتى فى الامتثال بأوامر الله وَ بافسادهم ﴿ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ وبكذبهم على الله ونسبة الجبر اليه تعالى والقول على أنفسهم بعدم المشيئة

« أو سعيدة »

أى إن اختارت التقوى وما فسقت ولا أفسدت الفطرة

« قال فقال رجل يا رسولَ اللهِ أفلا نَمكُثُ علىٰ كتابِنا

---

(١) وفى سورة يونس قال تعالى ﴿ كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ﴾

(٢) سورة يونس

(٣) هى هذه الآية الخامسة المذكورة بعاليه من سورة الصف

وندعُ العَمَلَ ؟ فقال : مَن كان مِن أهلِ السّعادة فسيصيرُ إلى عمل أهل السّعادة ، ومن كان من أهل الشقاوةِ فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة »

ومَثَلُ ذلك كمثل أهل المدينة ، ولا يقال على انسان انه من أهل المدينة الاّ بسعيه لها وباختياره البقاء فيها ، وان أهل البادية مِثله أيضاً (١) وعليه قد ظهر أن كل من سعى إلى شيء واختاره كان من أهله (٢) وذلك باختيار منه لا بإجبار من الله ، لأن الله تعالى قد أرى عباده كلا الطريقين أي طريق السعادة والشقاوة كما قال تعالى ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (٣) ﴾ وبشَّرَهم وأنذرهم بإرساله اليهم مبشرين ومنذرين وما كلفهم الاّ بما يطيقون كما قال تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (٤) ﴾ وجعلهم مختارين لا مجبورين كما قال تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٥) ﴾

---

(١) وذلك كما قال النبي صلى تعالى عليه وآله وسلم « كلٌّ عامل ميسرٌ لعمله » رواه مسلم

(٢) كما هو الظاهر من رواية مسلم عن عثمان بن أبي شيبة حيث لم يكن فيها كلمة « لما خلق له »

(٣) سورة البلد

(٤) سورة البقرة

(٥) سورة النجم

ومعلوم بأن المدنى إذا اختار البادية وسعى لها وبقى فيها كان من أهل البادية ، وإن البدوى أيضاً إذا اختار المدينة وسعى لها وبقى فيها كان من أهل المدينة فالأمر واضح جداً ، ان العباد ليسوا بمجبورين بل انهم مخيّرون كما قال تعالى فى الآية بعاليـه من سورة النجم ، وبعد ما بيّن النبى صلى الله تعالى عليـه وآله وسلم أن التأمّل باختيار العباد ، أراد إيقاظهم وحثّهم على السعادة وقال :

« اعملوا فـكلٌ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ »

أى ميسر للعبادة الخالصة الموصلة الى السعادة الأبدية لأن الله تعالى لم يجعل العبادة عسيرة عليكم بل جعلها يسيرة عليكم لأنه تعالى قد خلقـكم لأجلها حيث قال ﴿ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ[1] ﴾ فبشّر النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمّته بالحقيقة ودفع عنهم اليأس والشك وحضّهم على الخير قائلاً لهم « اعملوا فـكل ميسر لما خلق له » ، وليس المقصود إلقاء الامّة فى الشك واليأس بإعلام مالا خير ولا فائدة فيـه وذلك إحباط العمل الصالح بمجرّد الـكتاب ، ولا شك فى أن كتابة القرآن الـكريم أحكم وأتم ، ولو لم يكن الأمر كذلك لَمـا كان بقى

---

(١) سورة الذاريات

محلٌ للأمر والنهى بالإنزال والإرسال وكان ذلك عبثاً فتعالى الله العدل الحكيم عن ذلك علواً كبيراً وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلاَّ ما آتيها[1] ﴾ وصرّح بأنه تعالى قد جعل فى العباد قابلية واستعدادا للامتثال والاجتناب ، وعليه أرسل الى كافة الناس بشيراً ونذيراً ، وقال ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ[2] ﴾ وبيّنَ بياناً تامّاً بأن العباد لهم مشيئة ، وليسوا مجبورين فى أعمالهم بل انهم مخيّرون ، ولذا قال تعالى ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلإنسانِ إلاَّ ما سَعى ﴾ وليست العبرة بالكتابة المذكورة فى الأحاديث الشريفة لأن الله تعالى قال ﴿ يَمْحُو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ[3] ﴾ وبشر عباده بالخير ودفع عنهم اليأس من رحمته وقال :

﴿ إنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾

---

(١) سورة الطلاق

(٢) سورة الكهف

(٣) سورة الرعد ، وان حصر هذه الآية الكريمة وتخصيصها بأمر معين مع نفى سواه عنها باطل حيث لا حجة على ذلك ، بل ان هذه الآية الكريمة تشمل كل ما سيكون لأن ألفاظ هذه الآية الكريمة كلها تفيد ذلك مع عدم نفى المعين

أى بطوعه واختياره لا مانع واجبار من الله

﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾

يعنى اعلموا ان هذه المشيئة التى فى اختياركم هى فضل من الله تعالى قد تفضل بها عليكم ، ولو لم يكن الله تعالى قد شاء لكم تلك المشيئة الاختيارية لَمَا كان لكم أى اختيار وأية إرادة وكنتم مجبورين فى سعيكم وعملكم كالشمس والقمر ، وكمجيئكم الشيب والموت بأمرنا وأنتم كارهون ، أو كنتم متروكين كسائر الجمادات

﴿ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً ﴾

بما ينبغى لكم ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1]

﴿ حَكِيماً ﴾

فى أفعاله سبحانه وتعالى ، ولذا بمقتضى حكمته البالغة قد جعل لكم بين ذلك سبيلاً

﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ ﴾

فضلاً منه تعالى

---

(١) سورة الملك

﴿ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1]

أى ان الله تعالى لما أراد دفع الشك ورفع الإشكال ، نسب الظلم الى العباد لنفى الإجبار وقال ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[2] ﴾ أى ولو شاء الله إجباركم لجعلكم أمة واحدة ، ولكن لم يشأ ذلك ولم يجعلكم مجبورين بل جعلكم مختارين ليمتحنكم فيما آتاكم من الإرادة والمشيئة وغير ذلك ، وشوّق العباد وشجّعهم على عمل الخيرات ونبّههم بعاقبة أمرهم وحذّرهم من مخالفة أمره سبحانه وتعالى وبذلك أثبت أن للعباد إرادة واختيارا ولذا يفعلون ما يشاؤن ويعملون ما يريدون وعليه يستحقون العقوبة على أفعالهم السّيئة وأعمالهم الشنيعة ، وهذا تأكيد وتصريح منه تعالى بأنه قد منّ على العباد إذ جعل لهم بمشيئته السابقة استطاعة ومشيئة ، وهم إذا صرفوها باختيارهم الذاتى فى إكتساب العمل المنهى عنه ووضعوا الشىء بمشيئتهم فى غير محله صاروا ظالمين واستحقوا العذاب بعدل الله ولذا قال

---

(١) سورة الانسان

(٢) سورة المائدة

تعالى ﴿ سَيَقولُ الَّذينَ أشرَكُوا لو شاءَ اللهُ ما أشرَكْنا ولا آباؤُنا ولا حَرَّمْنا مِنْ شَيْء، كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقوا بأسَنا[1] ﴾ وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم :

« أما أهلُ السعادة فسييسّرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فسييسّرون لعمل أهل الشقاوة »

أى كما أن أهل المدينة سييسّرون لعمل أهل المدينة من الدخول فى المدارس واكتساب أنواع العلوم وألوان الفنون والاشتغال بأصناف التجارة ولا ييسّرون للحرث والزرع والاحتطاب وعمل الفحم والاشتغال بالمواشى والأنعام ونحو ذلك ، فان أهل البادية سييسّرون لهذه الأعمال الشاقة المذكورة ولا ييسرون للأعمال الفاضلة الشريفة من الدخول فى المدارس واكتساب أنواع العلوم وألوان الفنون والاشتغال بأصناف التجارة ونحو ذلك. وقوله :

« ثم قرأ »

أى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

---

(١) سورة الأنعام

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى[1] ﴾

أى أيد النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حديثه الشريف بقول الله تعالى ليعلموا وليؤكدوا أن العباد ليسوا مجبورين بل انهم مخيرون ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ فلذلك قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ[2] ﴾

---

(١) ختم النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حديثه الشريف بهذه الآيات الست من سورة الليل

(٢) سورة يونس

فقط فصل الآيات (*)

١

قال تعالى :

﴿ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ (١) ﴾

(أى ان الله تعالى عالم بجميع ما كان وما يكون) من أمور الدنيا والآخرة لأنه هو الخالق الذى خلق الخلق ونظّم نظام أحوالهم وخطّ خطوط سيرهم وتفضل على العباد بالإرادة والمشيئة وجعلهم مختارين لا مجبورين ، وعلى حسب ثبات العباد ، أو سعيهم المشكور ، أو ميلهم عن الفطرة طوعاً واختياراً يعاملهم الله تعالى بما يشاء حيث قال ﴿ يَمْحُو اللهُ ما يَشاء وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ (٢) ﴾ لأنه تعالى ﴿ فَعّالٌ لِما يُرِيد (٣) ﴾ ، ﴿ لا يُسْأَلُ عَمّا يَفْعَلُ وهم يُسْأَلُونَ (٤) ﴾

(*) حيث قد سبق منى أن كتبت وفسرت بعون الله قوله تعالى ﴿ ومن يرد أن يضله . . . ﴾ من سورة الأنعام مع الحديث الثالث ، كما انى قد كتبت وفسرت بفضل الله قوله تعالى ﴿ وما تشاءون الا أن يشاء الله ﴾ من سورة الانسان مع الحديث الرابع

(١) سورة البقرة
(٢) سورة الرعد
(٣) سورة البروج
(٤) سورة الأنبياء

٣

وقال تعالى

﴿ وَلَوْ شاء رَبكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أمَّةً وَاحِدَةً ﴾

أى مجبورين على ما يرضيه ، بل انه تعالى أراهم طريق الخير والشر وبشرهم بالجنة وأنذرهم بالنار وجعلهم مخيرين وأكرمهم بجعله لهم إرادة ومشيئة ليمتحنهم

﴿ وَ ﴾

لذا

﴿ لاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾

لأن من شأن المخير أن يفعل ما يشاء

﴿ إلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾

بالعصمة ﴿ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاء[١] ﴾ ، ﴿ ما عَلَى المُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيل[٢] ﴾

---

(١) سورة المائدة
(٢) سورة البراءة

﴿ وَلِذَا ﴾

أى للامتحان

﴿ خَلَقَهُمْ ﴾

حيث قال ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً [١] ﴾ وقال أيضاً ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ [٢] ﴾ ولا يجوز أن نقول خلقهم للاختلاف ، كلاً بل خلقهم ليعبدوه بمقتضى ﴿ فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا [٣] ﴾ حيث قال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [٤] ﴾

﴿ وَ ﴾

لذا

---

(١) سورة الملك

(٢) سورة المائدة

(٣) سورة الروم

(٤) سورة الذاريات

﴿ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ[١] ﴾

إذا اختلفوا فى الحق وأفسدوا الفطرة وخالفوا أمر الله ، وأن هذا تحذير من الله ورحمة أمام ما سيقع ، وبناء على سبقة ذلك ، ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ[٢] ﴾ ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ[٣] ﴾

٣

وقال تعالى :

﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ، ﴾

طوعاً واختياراً لأن الله تعالى قد جعل فى العباد تلك القدرة مع تفضله عليهم بالإرادة والمشيئة ، وذلك الأساس فى التكليف بالأوامر حيث ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[٤] ﴾

---

(١) سورة هود

(٢) سورة ق

(٣) سورة الزخرف

(٤) سورة البقرة

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾

أى لا يذكرون ولا يعلمون ويعملون شيئاً من الأشياء إلاّ أن يشاء الله ، يعنى اعلموا بأن قد شاء الله تعالى لعباده القدرة الكافية لتذكر القرآن الكريم والعمل به ، وان القرآن الكريم مستثنى ، وليس المراد إلقاء العباد فى الشك واليأس بإخبار مالا خير فيه ولا فائدة ، بل أخبرهم بإنعامه ذلك عليهم ليشكروه ولا يكفروه حيث تعالى لم يقل :

وما يذكرونه

بل قال

﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ ﴾

فعليه لا يجوز أن نقول ما يذكرون القرآن ولا يتركون الشرك والكفر ويطيعون الله إلاّ أن يشاء الله ، حيث يقع حينئذ تناقض ظاهر فى كلام الله فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، لأن الله تعالى قال ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا[1] ﴾ أى قد جعل الله تعالى لعباده إرادة ومشيئة وإستطاعة وجعلهم مختبرين

---

(١) سورة الأنعام

لامجبورين وعليه قال :

﴿ فَمَنْ شاء ذَكَرَهُ ﴾

حيث فيه القابلية التامة والقدرة الكافية على ذلك ، ولذا قال تعالى

فى آية سبقت فى السورة نفسها :

﴿ فَما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾

يعنى ليس لهم أى محل للاعتذار ﴿ بَلِ الْإِنْسانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعاذِيرَهُ[1] ﴾

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ[2] ﴾

أى فاعلموا بأن من كان ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

فمحال أن يكلف عباده بما لا يطيقون ، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

لأن ذلك ليس من فعل الكريم الحكيم ، وقد صرّح الله تعالى قائلاً

﴿ وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها وَلَدَيْنا كِتابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ

لاَ يُظْلَمُونَ[3] ﴾

---

(١) سورة القيامة

(٢) سورة المدثر

(٣) سورة المؤمنون

٤

وقال تعالى فى سورة التكوير :

﴿ وَما تَشاءُونَ إلاَّ أنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ ﴾

أى لحيث ان تربية الله

للعالمين

سابقة على التكاليف أراد سبحانه وتعالى أن يُذَبِّبَهَ عباده ويشعرهم

بأنه تعالى خلقهم ، ثم

رَبَّاهُمْ

مستعدين للعمل بالتكاليف بما أودع فيهم وتفضل عليهم من القدرة

والمشيئة ، ولم يترك لهم أى محل للاعتذار

ثُمَّ

أرسل الرسول وأنزل الكتاب ببيان الخير والشر ، وبالأمر والنهى

ولهذا

قال تعالى فى آيات سبقن فى السورة نفسها :

﴿ فَأيْنَ تَذْهَبُونَ ، إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ ، لِمَنْ

شاء مِنكُمْ أنْ يَستَقِيم ﴾

وأثبت الاختيار ونفى الإجبار (وأراد) سبحانه وتعالى

بالعطف الأخير على السابق

أن يمنّ على عباده بإنعامه عليهم ليشكروه ولا يكفروه ، إذ جعل لهم قدرة ومشيئة . (وليس) من فعل الكريم الحكيم إلقاء العباد فى الشك واليأس بإخبار ما لا خير فيه ولا فائدة فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فلذلك قد صرّح الله تعالى

باتصاف

عباده بالمشيئة وحكم لهم بالقدرة قائلاً :

﴿ لِمَنْ شاءَ مِنكُمْ أنْ يَستَقِيمَ ﴾

حيث ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفساً إلاَّ ما آتيها[1] ﴾

٥

وقال تعالى :

﴿ ما أصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الأرْضِ وَلاَ فِى أنفُسِكُمْ إلاَّ

---

(١) سورة الطلاق

فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ [١]

أى الله تعالى قبل خلق المصائب وقبل وقوع عباده فيها اتخذ كتاباً وَبَيَّنَ فيه جميع المصائب الدنيوية والأخروية وبيّن أسبابها وموجباتها لئلا يقع عباده فيها ولئلا يلوموا إلاّ أنفسهم إذا اختاروها وسعوا إليها حيث قال تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [٢] ﴾ وقال تعالى ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [٣] ﴾ وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [٤] ﴾ وقال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ [٥] ﴾ وانه لو كان يقع كل ما يكتب بدون سعى العبد واختياره لما كان بقى محل للنهى ، والاخبار ، والتحذير ، والتهديد حيث يكون ذلك عبثاً فتعالى الله العدل الحكم عن ذلك علواً كبيراً ، كما أنه لو كان كل

---

(١) سورة الحديد

(٢) سورة النور

(٣) سورة الروم

(٤) سورة الرعد

(٥) سورة البقرة

ما كتب نافذ وماض وواقع بدون سعى العبد واختياره لما كان بقى محل لأمر الله وقوله تعالى ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (١) ﴾

٦

وقال تعالى :

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا ﴾

أى ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (٢) ﴾ حيث ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ (٣) ﴾

﴿ وَتَقْوَاهَا (٤) ﴾

أى ﴿ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٥) ﴾ وذلك مثل قوله تعالى

---

(١) سورة البقرة

(٢) سورة الصف

(٣) سورة البقرة

(٤) سورة الشمس

(٥) سورة الرعد

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . . . ﴾(١)

٧

وقال تعالى :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾

أى بلا اختيار من الجن والإنس

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾

أى بامتحان العباد فيما آتيتهم من الاختيار والمشيئة وغير ذلك لأن دين الاسلام دين تقدم وترق وسعادة فى الدارين بسعى العبد واختياره ولذا قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(٢) ﴾ والمراد من قوله تعالى :

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

---

(١) سورة العنكبوت ، وللآية صلة قوية وتفسير مهم فى آخر الكتاب مأخوذ من كتاب (جواب نعمان على خمسة أسئلة)

(٢) سورة المائدة

هو تحذير، وزجر وتهديد منه برحمته تعالى لئلا يقعوا فيما يوجب ذلك، وعليه قد أعقب الله تعالى بقوله:

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا﴾[1]

حيث تعالى يملأ جهنم فيه بعدله من الذين يتغافلون ويفسدون باختيارهم الذاتي ما أصلح الله تعالى لهم ولا يصبرون ولا يثبتون عَلَى ﴿فِطْرَتَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾

٨

وقال تعالى:

﴿مَنْ يَشَاِ اللهُ يُضْلِلْهُ﴾

بعدله عقوبةً له أي من الذين يفارقون التقوى ولا يخلصون فى العمل ولا يصبرون على البلاء كمثل المجاهد الكبير الذى قتل نفسه بسيفه ولم يصبر على ألم الجرح الذى اكتسبه فى سبيل الله فى غزوة خيبر كما رواه البخارى فى صحيحه، وقوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]

---

(١) سورة السجدة

(٢) سورة الأنعام

أى بفضله ورحمته سبحانه وتعالى ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١) ﴾

٩ — ١٠

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً (٢) ﴾

حيث قد سبق منهم أن زاغوا وعصوا الأوامر المنزلة من الكتاب ، فغضب الله عليهم فأزاغ قلوبهم لينتقم منهم ، وقد ظهر هذا بجلاء ووضوح من آيات كثيرة منها ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا (٣) ﴾ ومنها أيضاً قوله تعالى ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا (٤) ﴾

وإن أساس التكليف والإلزام هو إرسال الرسل بالأوامر ، والنواهى ، فلذلك قال تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾

﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً (٥) ﴾

(١) سورة البقرة

(٢) و ٣ و ٤ و ٥ سورة الإسراء

(أى) ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ[١] ﴾ جزاءاً وفاقاً ، حيث قد سبق أن بعث الله إليهم رسولاً بالأوامر والنواهى ، وبيّن لهم الخير والشر ، وأنذرهم بعذاب الله ، وبشّرهم برضوانه تعالى ، والسعادة فى الدارين ، فلذا ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ[٢] ﴾

١١

وأيضاً قال تعالى :

﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ ﴾

أى بفضله ورحمته من الذين لا يفسدون ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ بالفسق الإبليسى

﴿ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ ﴾

بعدله تعالى من الذين يفسدون الفطرة

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا[٣] ﴾

---

(١) سورة الصف

(٢) سورة ق

(٣) سورة الكهف

(أى) ﴿ فَلَمَّا زاغُوا أزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الفاسِقِينَ ﴾

١٢

﴿ يٰس ، ... ، ... ، ... ، ... ، ﴾

﴿ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُون ﴾

أى ﴿ وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ للايقاظ من الغفلة ، والإرشاد إلى سعادة الدارين ، فلذلك يا أيها الرسول الكريم محمد بن عبد الله بعثناك إليهم ، وإنك قد أنذرتهم وأمرتهم بالذى أمر ، وكما أنذر آباؤهم ، فى عهد الخليل ابراهيم وغيره من الرسل ، حسب قدرتهم على اتباع ما جئت به ، حيث إننا بعثنا الرسل وختمناهم بك ﴿ وَلاَ نُكَلِّفُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها وَلَدينا كِتابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون ﴾

﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُون ﴾

أى ﴿ فَلَمَّا زاغُوا أزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفاسِقِين ﴾ فغضب عليهم لجحودهم ، وعاقبهم لعنادهم بأنواع الأنكال ، وقضى عليهم بالحرمان كما قال ﴿ إنَّا جَعَلْنا فِى أعْناقِهِمْ أغلالاً فَهِىَ إلى

الأذقانِ فهُمْ مُقْمَحُون . وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أيدِيهِمْ سَدّاً وَمن خَلْفِهِم سَدّاً فأغشَيْناهُمْ فهُمْ لاَ يُبْصِرون . وَسَواءٌ عَلَيْهِمْ ءأنذَرْتَهُمْ أمْ لمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون ﴾ وإن سبب ذلك كله هو أنهم لم يتبعوا الذكر ، ولم يخشوا الرحمن فلذلك قال ﴿ إنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأجْرٍ كَرِيم ﴾

ومن لم يطلع على التفاسير ان يعرف قدر هذا التفسير

١٣

قوله تعالى:

﴿ كَذلِكَ زَيَّنا لِكلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾

أى على حسب اختيارهم ، حيث ﴿ لاَ إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ (أى بطوعه واختياره) فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ[١] ﴾

﴿ ثُمَّ إلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ ،

(١) سورة البقرة

وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ، وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

جزاء بما عملوا ، (أى) ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾

حيث ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾

أى للامتحان بهم أيصبروا أم يجزعوا على الأذى والظلم الواقع من

﴿ شَياطِينَ الإنْسِ وَالجِنِّ (١) يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ﴾

إجبار العباد على ما يرضيه تعالى

﴿ ما فَعَلُوهُ ﴾

أى الكفر والطغيان

---

(١) وقد جاءت فى امتحان الأنبياء آيات أخر أيضاً ، منها فى سورة البقرة ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾ وفى سورة الصافات ﴿ فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ﴾ . وفى سورة آل عمران ﴿ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً ، وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ وفى سورة النمل ﴿ ... ليبلونى ءأشكر أم أكفر ﴾ وفى سورة ص ﴿ وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب ﴾ وأيضاً فى السورة نفسها ﴿ ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب ﴾

﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ [(١)] ﴾

١٤

﴿ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ [(٢)] ﴾

أي الله تعالى مع قدرته عليهم ما أكرههم ولا أجبرهم بل جعلهم مخيرين ، وما عليك أيها النبي الكريم إلاّ البلاغ المبين ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ ، ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ [(٣)] شَيْءٌ [(٤)] ﴾ أفأنت تكره الناس مع عدم قدرتك عليهم حتى يكونوا مؤمنين ﴿ لَا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ، ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ

---

(١) سورة الأنعام

(٢) سورة يونس

(٣) المتعلق بمبادى غير التبليغ

(٤) سورة آل عمران

عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ، إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ، إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

إنتهى . الله أكبر ولله الحمد

سنة ١٣٧٢ هـ

بفضل الله ورحمته تعالى كتبه المفسر نعمان زكى بن عثمان الأحمدى[1] الكمشخانوى بقلمه ؟

---

(١) نسبة إلى جدنا الذى اشتهرت قبيلتنا باسمه ، والكمشخانه هى محل ولادتى ، ولا يظن ظان أن ذلك نسبة الى الطرق أو غيرها لأنها ضلالة ، حيث قال تعالى ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل . . . ﴾ ١ وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ٢ وقال تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ ٣ وقال تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر ﴾ ٤ وقال تعالى ﴿ فاستمسك بالذى أوحى إليك انك على صراط مستقيم ، وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴾ ٥ وان الذكر المزبور فى هذه الآية هو نفس الذكر المرقوم فى قوله تعالى ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ ٦ والله

قومه صلى الله تعالى عليه وسلم جميع من فى العالم حيث قال تعالى ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ ٧ وقال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلاّ كافة للناس ﴾ ٨ فلذلك عَلِمْنا بأن الله تعالى يقول لخاتم أنبيائه محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ان هذا القرآن لَدُستور وقانون لك ولكافة من أرسلتَ إليهم كما قال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان . ولكن جعلناه نوراً نهدى به مَن نشاء مِن عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ ٩ أى بالتبليغ والإرشاد ، ويحصل ذلك من كل مؤمن مصلح ، وأمّا هداية القلوب فهى لله تعالى وحده كما قال تعالى ﴿ انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ﴾ ١٠ وقد نفى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الضلال عمّن تمسك بالكتاب والسنة قائلاً ﴿ تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه ﴾ رواه مالك فى الموطأ ، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته يا أيها الذين تتمسكون بالكتاب والسنة ، وتتجنّبون عن الخرافات والبدع خوفاً من الدخول تحت قوله تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ ١١

الآيات التى شرفتنا بعاليه ١ فى سورة الأنعام ، و ٢ فى سورة

الحشر ، و ٣ فى سورة البقرة ، و ٤ فى سورة القمر ، و ٥ فى سورة الزخرف ، و ٦ فى سورة القلم ، و ٧ فى سورة الفرقان ، و ٨ فى سورة سبأ ، و ٩ فى سورة الشورى ، و ١٠ فى سورة القصص ، و ١١ فى سورة الشورى

ملحق هام جداً

إن من يقل خلاف ما قلتُه فى الآية التى من سورة الزخرف لقد أيّد بلا قصد الكفار الذين لم يزالوا يقولون (ان محمداً نبي العرب فقط لا غير) والحال ان رسالته عامة إلى جميع من فى الدنيا ، وان القرآن الكريم لم يكن ينزل للعرب خاصّة بل نزل للعالمين كافّة ، وليس من الحكمة التعصب بالجنسيات حيث ان العرب إذا خصّوا أنفسهم بشرف ما بناءً على الآية المذكورة التى ليس فيها ما يدعو ، الى ذلك ، فقد شقوا عصاهم بأيديهم ، وإنما الآية تصرّح بما قلتُه حيث قد أمر الله تعالى فى أولها بالتمسّك ثم ختمها بالتهديد الرهيب قائلاً ﴿ وسوف تُسألون ﴾

وان القول الحق ، هو ان القرآن الكريم شرف لكل من تمسّك به ، وليس لسواهم ؛ وهل شرف القرآن المجيد جميع العرب ؟ ؟ منهم الوليد ، وأبو جهل ، وأبو لهب عمّ الرسول الأعظم ﷺ ، أم قبّحهم القرآن الكريم ؟ ؟ أم كانوا هم من العجم ؟ ! كلاّ بل إنهم كانوا عظماء العرب ؛ (فلذلك قد ظهر بأن لا خير فى التعصب) بالجنسيات ، حيث يكون المتعصب قد أيقظ الفتنة ونبّهَ العجم ، وفقد ودّهم ، وخسر عطف الإخوة الأبدية التى قد حكم الله بها قائلاً ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ ، وألجأهم الى الإحتجاج بآية من سورة فُصّلَتْ ، فيستدلون بها على شرف

العجم ، وقد سبق فى (مسجد الخيف بمنى) قبل بضع سنين ، أن وقع تنازع فى الجنسيات فقال العربى ان العرب أشرف من العجم ، لأن النبي عربي والقرآن عربي ، وان القرآن يشهد بشرفنا من دون العجم حيث قال ﴿ وانه لذكر لك ولقومك ﴾ يعنى شرف لك . . . ولقومك العرب ، كما يقول المفسرون ، وان هذا دليل واضح على شرف العرب وليس العجم . فعندئذ ثار غضب العجم ، وكادوا أن يبطشوا ، لو لم يكن قام من بينهم رجل باكستاني فقال : اصبروا ، واسمعوا أيها المسلمون من العجم ، فإن جوابهم عندى ، ثم قال : الحمد لله الذى شرفنا بعدم خلقه إيانا عرباً حيث قال تعالى فى العرب ﴿ وَلو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياتُهُ ءأعجمىٌّ وعربى ﴾ ولم يقل الله تعالى فى العجم ذماً قط ، ولم يكن فى القرآن ما يدل ، أو يشهد على العجم بشدة الكفر وغلظة العناد ، أليس ذلك بشرف عظيم لنا نحن العجم ؟ ! حيث قد آمن أكثرنا بعقله السليم لا بالسيف ، ولم نقل « لولا فصلت آياته على لسان العجم ، ولم نقل ، أقرآن عربى وقوم أعجمى » بل اننا قد اجتهدنا بعقولنا الثاقبة وميزنا الخبيث من الطيب فتمسكنا بأوامر كتاب الله وسنة رسوله ، فأصبح أجل العلماء وأكثر المحدثين وأعظم أئمتهم منا نحن العجم ، ولم يذكر التأريخ ، ان صارت ، دولة اليهود فى بلاد العجم ، فلذلك نعتقد ان العجم أشرف من العرب . فقلت له مهلاً يا أخى

مهلا ، فلنقف جميعاً عند حكم الرسول الكريم حيث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد خطب بمنى قائلاً « يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، وان أباكم واحد » ثم نبه الناس مرة ثانية ووجه أنظارهم لحكم قائلاً « ألا لافضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب » رواه الطبرى والبيهقى وغيرهما ؛ وان هذا الحكم مؤيد بالآيات القرآنية منها قوله تعالى ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم[1] ﴾ وقوله تعالى ﴿ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً[2] ﴾ ولم يقل سبحانه (من كان عربياً أو عجمياً) لأن الله تعالى خلق العرب والعجم من آدم ، وآدم من تراب . وأمّا قولك الأخير بذكر الدولة فهو ناشىء من تألمك نحو دينك ، وإخوانك ، وانك لتحرضهم على اليهود فشكراً لك ، فبهذا قد سكن غضب أخونا الباكستانى وطفئت الفتنة .

---

(١) سورة الحجرات

(٢) سورة مريم

هذا هو التفسير المهم

المشار إليه فى انتهاء تفسير الآية السادسة

ونحن إن نعمل بما فى وسعنا يبدل الله تعالى حالنا بأحسن الأحوال ويزيدنا من فضله ويقدّرنا على ما لم نكن نقدر عليه من أنواع الصالحات ويسعدنا فى الدارين ، أى إذا كنا قادرين على السعى فى مرضاة الله تعالى ماشين على أقدامنا ومشينا فيتفضل الله علينا بركوب ويريحنا من التعب، ثم إننا إذا قمنا بحقه فيتفضل علينا بجمل ، واذا قمنا بحقه أيضاً فيتفضل علينا بحصان ثم بسيارة وباخرة وغيرها ثم بطائرة فتكون العزة لنا

وكذلك ان الانسان الفقير إذا قام بحق الاسلام صلى وصام وجاهد بما فى وسعه يغنيه الله تعالى ويقدّره على الزكاة ، وانه إذا أدّاها يزيده من فضله ويقدّره على الحج أيضاً ، وانه إذا قام بأداء الحج كما ينبغى يسّر له سواه ورفع قدره وأعلى شأنه وهداه الى غيره من الأعمال المشروعة وأعزّه فى الدارين (كما قال تعالى فى آخر سورة العنكبوت) . وان ذلك أمر معلوم بالبداهة وفعل محسوس يشهده العالمين ، انظروا إلى هؤلاء الضعفاء الفقراء وهم أصحاب رسول الله الذين كانوا لا يجدون القوت الضرورى من الشعير ، قد زلزلوا العالم بسبب سعيهم المشكور وعملهم المبرور بما فى وسعهم ، وفتحوا بلاد الجبابرة ونقلوا خزائنها وذرارى

ملوكها من بلاد إلى بلاد . ونحن بسبب اشتغالنا بما لم نؤمر به ضيّعنا ما جمعوه ، ولوثنا ما طهّروه ، مع عددنا الذى لا يُعَد ولا يحصى . وعلاوة على ذلك كله لا نخجل بل ندّعى الترقى والعلو ! إنا لله وإنا إليه راجعون

وان ألفاظ الآية المذكورة من سورة العنكبوت جاءت بصيغة الجمع ، وان ذلك للتعظيم والتشريف لأن الفرد العامل على الصراط المستقيم له شرف عظيم عند الله تعالى كشرف جماعة عظيمة وملّة كبيرة كما هو الظاهر من قوله تعالى فى خليله حيث قال ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّٰهِ حَنِيفاً [1] ﴾ وان صيغة الجمع الموجودة فى ألفاظ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا ﴾ تشريف للذى هو على الحق ، وان صيغة الجمع الموجودة فى لفظَىْ ﴿ فِينَا لَنَهْدِيَنَّ ﴾ تعظيم لله الفرد الأحد ، وان صيغة الجمع الموجودة فى لفظ ﴿ هُمْ ﴾ تشريف للذى هو على الحق ، وان صيغة الجمع الموجودة فى لفظ ﴿ سُبُلَنَا ﴾ قد شملت تعظيمين الأول تعظيم للصراط المستقيم والآخر تعظيم لله الواحد الصمد الذى شرف المحسن بمعيته ، وان سبيل الله وصراطه المستقيم واحد كما قد صرّح الله تعالى بذلك فى محل الأمر والنهى بقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

---

(١) سورة النحل

بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ (١) ﴾ وأما قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ جاء فى محل المدح والتبشير ، ومعلوم بالبداهة أن المدح والثناء والتبشير والمكافاة تابعة للأمر والنهى ، لأن الأساس هو الأمر والنهى ، ومن لا يطع الأمر ولم يتجنّب النهى لا يمكن أن ينال المدح والثناء ولن يفوز بالبشرى والمكافاة أبداً ، ومن ادعى خلاف ما وفقنى الله تعالى لبيانه وزعم لله طرقاً عديدة وسبلاً كثيرة كما عليه الصوفية أى أهل الطرق ، وهى الطريقة النقشبندية ، والطريقة القادرية ، والطريقة التيجانية ، والطريقة المولوية ، والطريقة الخالدية ، والطريقة الرفاعية ، والطريقة الشاذلية ، والطريقة الويسية ، و . و . و . . . فقد زاغ وضل (٢) ، حيث

---

(١) سورة الأنعام

(٢) بأدلة كثيرة منها الآية السابقة التى قال تعالى فيها ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ والآية اللاحقة التى هى آخر سورة العنكبوت ، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما من شئ يقربكم الى الجنة إلا وقد حدثتكم به ، وما من شئ يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به ، كما رواه الطبرانى .

فعليه قد ظهر بأن كل من اعتقد القربة ، أو الأجر والمثوبة فى العمل المبتدع فقد بات فى الظلمات مكذباً الرسول الأمين معاذ الله ، لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم صرح قائلا بأنه لم يكن يترك شيئاً من ذلك إلا وقد بينه لنا كلياً

انه تعالى لم يقل فى الآية نفسها ﴿ وَالَّذِينَ جاهَدُوا ﴾ (فِيَّ) بصيغة المفرد بل قال ﴿ فِينا ﴾ بصيغة الجمع ، وأيضاً لم يقل (لَأَهْدِيَنَّ) بصيغة المفرد بل قال ﴿ لَنَهْدِيَنَّ ﴾ بصيغة الجمع ، وأيضاً لم يقل (سُبُلِي) بصيغة المفرد بل قال ﴿ سُبُلَنا ﴾ بصيغة الجمع ، فعليه قد ظهر بجلاء عام ووضوح تام أن صيغ الجمع الموجودة فى الآية المذكورة كلها للتعظيم والتشريف فقط وليس كما يزعم هؤلاء المُبْتَدِعَة ومن تسمم بسمومهم وضل ، لأن الله تعالى قد أغلق الأبواب كلها أمام من يحاول إدخال شىء فى الدين بقوله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ (١) ﴾ وختم ذلك الإغلاق بآية أنزلها (فى الأيام الأخيرة من عمر الرسول الكريم (٢)) ولم يبق بعدها أى مجال لأى أحد يريد التصرف فى الدين بالزيادة فيه ، أو النقصان منه ، وذلك قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ (٣) وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

(١) سورة الشورى

(٢) حيث قد مكث عليه الصلاة والسلام بعد نزول هذه الآية واحدا وثمانين يوماً ثم انتقل الى الرفيق الأعلى

(٣) فعليه قد ظهر بأن كل من زعم استحسان العمل المبتدع ، وإدخاله فى الدين ، فقد بات فى الظلمات ينسب النقص للدين ، وصار يدعى محاولة إكماله بالبدع ، وإن ذلك إعلان منه بأنه غير مؤمن بكمال الدين

نِعْمَتِي[1] ﴾ فعليه قد ظهر بأن هاتين الآيتين قد نسختا كل قول يَزْعُمُ به الضالين تشويق العباد الى إحداث العمل الغير المشروع وإدخاله فى الدين إذا رأوه مستحسناً ، ومن حججهم على ذلك هو حديث جرير ابن عبد الله الذى قال فيه « جاء ناس من الأعراب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة فحث الناس على الصدقة فأبطئوا عنه حتى رُئِيَ ذلك فى وجهه ، ثم ان رجلاً من الأنصار جاء بِصُرَّةٍ من وَرِقٍ ثم جاء آخر ثم تتابعوا حتى عُرِفَ السرورُ فى وجهه ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : من سن فى الاسلام سنةً حسنةً فَعُمِلَ بها بعده كُتِبَ له مثلُ أجرِ من عمل بها ولا يَنقُصُ من أجورِهم شىء ، ومن سن فى الاسلام

= وان مثل كمال الدين كمثل كأس تكامل امتلاؤه بلبن خالص ؛ ثم أتى قوم فصبوا عليه سائلا شبه ماء حيناً بعد حين بلا انتهاء (وان ذلك مثل البدع) فهل يبقى فى الكأس شىء من اللبن حينئذ ؟ ؟ أم يحل ذلك السائل مكان اللبن كلياً ؟ ؟

فالجواب هو ان هذا الأمر واضح جداً ، من أن مع تلك الحالة محال أن يبقى شىء مما كان فيه . وان كأس الدين هو حياة الانسان وعمره المحدود

(١) سورة المائدة

سنة سيئة فعُمِلَ بها بعده كتب عليه مثلُ وِزرِ من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء »[١] والحال ان هذا الحديث ليس بسالم من الجرح كما هو المصرّح به فى (ميزان الاعتدال)[٢] ولكنى أقول على فرض صحة الحديث وسلامته ، وعلى فرض أنه يفيد ما ادعاه الخصم ، (ان العبرة بالخواتيم) ، وان هذا الحديث قديم ، ويدل على ذلك محتوياته ، من أنها وقعت فى أوائل الإسلام عند ضعف المسلمين فلهذا يكون منسوخاً بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة ، ومن تلك الأدلّة الآيتين المرقومتين أعلاه[٣] وحديث العرباض بن سارية الذى قال فيه « وعظنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موعظةً وجِلَتْ منها القلوبُ وذَرَفَتْ منها العيونُ قلنا يا رسولَ الله كأنها موعظةُ مودّع فأوصنا ، قال أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والسمعِ والطاعةِ وإن تأمّر عليكم عبدٌ فإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنةِ الخلفاء الراشدينَ المهديينَ عَضوا عليها بالنواجذِ وإياكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ فإن كلّ بدعةٍ ضلالةٌ »

---

(١) أخرجه مسلم والنسائى والترمذى

(٢) ص ١٨٢ من المجلد الأول طبع بمطبعة السعادة بمصر فى سنة ١٣٢٥

(٣) من سورة الشورى وسورة المائدة

رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسنٌ صحيح . ومن تلك الحجج الباهرة أيضاً ما قاله الرسول الكريم فيما أخرجه البخارى والبيهق وهو « إنَّ أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ وخيرَ الهدىِ هدىُ محمدٍ وشرَّ الأمور مُحْدَثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكل بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ فى النار »

فبهذين الحديثين الشريفين كذلك قد ثبت نسخ الشطر الأول ، كما قد ثبت تأييد التغليظ والتحذير الوارد فى الشطر الأخير من حديث (من سن . . . ومن سن . .) . ومما يؤيّد ما ذكرناه هو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ [1] » فلذلك قد تبيّن بأن الرسول الكريم لم يقل « من سن فى الاسلام سنة حسنة . . . » إلاّ تعظيماً لمن أجاب داعى الله وأطاع أمره وقام بعمل مشروع ، حيث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال ذلك القول إلاّ بعد ما جاء الأنصارى بصدقة عظيمة وحرّك بها شعور المسلمين وأمَّهم فى إجراء عمل متواتر مشروعيته بنصوص كتاب الله وسنة رسوله ، ولم يكن يُحدث فى الدين ما ليس منه باختراع معدوم ، أو بإتيان مجهول أو غير مشروع ؛ وقد صرّح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قائلاً

(١) رواه البخارى ومسلم

« ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلاّ واحدة قالوا : فمن هى يا رسول الله قال التى تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابى[1] »

وقيّد الحق وحصَرَه وميّز الباطل وحَسَمَه . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب ؟

---

(١) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى

فهرس